الخطبة الثامنة والأربعون

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

[العصر: 103/ 1 - 2]

إِنَّ الْحَمْد للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 102]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 4/ 1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 33/ 70-71].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: 103/ 1 - 3].

إن الله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، فقد أقسم سبحانه بالفجر وليال عشر، وأقسم بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، وأقسم سبحانه بأشياء كثيرة، فهو الخالق، وهو الرب، وهو الإله، وهو الذي يفعل ما يشاء، ونحن العبيد لا يحق لنا أن نقسم بأي مخلوق، فقد قال عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر رضي الله عنه:

«من حلف بغير الله فقد أشرك» أحمد – الترمذي – الحاكم – صحيح، وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» متفق عليه.

ويقسم الله سبحانه بأمور عِظَام؛ فهنا حلف بالعصر، فما معناه؟ قال أهل العلم:

1 – العصر هو الدهر وهو الزمان، 2 – وقالوا: إنه عصر وحياة النبي ﷺ؛ لأن الله تعالى قد حلف بعمر النبي عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 15/ 72]، 3 – وقال آخرون: أنا كفرد مخلوق ما الذي يعنيني من آلاف السنين؟ المهم عندي عمري أنا، والسورة تعنيني أنا، والخسارة لي أنا إن لم أكن كما وصف ربي، إذن فالعصر هو عصري وعمري ومدة إقامتي في هذه الدنيا، ويبين لي سبحانه أن الإنسان –الذي هو أنا– لفي خسر إلا ... ويؤيد هذا الفهم قوله عليه الصلاة والسلام من حديث أبي برزة نَضْلَةَ بن عُبَيْد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه فيمَ فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه» صحيح الترمذي – ابن حبان.

لذلك –والله أعلم– إن القول الثالث هو القول الأقوى؛ لأني أنا المخاطب في السورة، ولأني أنا الذي في خسر إلا إذا آمنت، وذلك لأن الإيمان والعقيدة الصحيحة والتصور الصحيح والفهم الصحيح لله سبحانه وتعالى ولمفهوم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هو المفتاح لدخول الجنة، ولذلك جاءتنا أحاديث عدة كلها تدور حول هذا المفهوم وإليك بعضاً منها:

عن والد أبي مالك الأشجعي (طارق بن أشيم) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم الله ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» مسلم – حم – وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقاني بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» م – حم،

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله؛ يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار» البخاري - حم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من شهد: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ حرم الله عليه النار» مسلم - حم - ت، وقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لها شروط وهي:

1 - العلم بها نفيًا وإثباتًا؛ (لا إله) تنفي الإلوهية عن أي شيء، عن أي مخلوق أو خالق نفيًا تامًا، (إلا الله): إثبات الإلوهية لله وحده فقط لا شريك له ولا مثيل في أي صفة من صفاته، والإله هو المعبود وهو المشرع ولا معبود إلا الله، ولا مشرع إلا الله، ولا يعبد الله إلا بما شرعه هو سبحانه، ومحمد رسول الله ﷺ المبلغ عن الله سبحانه وتعالى أوامره وتعليماته، تؤمن وتثق بما يقول عن الماضي والحاضر والمستقبل، ولا هدي إلا هديه ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 80]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 3/ 31].

2 - اليقين المنافي للشك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: 49/ 15].

3 - الإخلاص؛ لأن الله تعالى لا يقبل إلا الخالص من العمل، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 98/ 5].

4 - الصدق؛ صادقًا بالإيمان بهما من قلبه غير خائف ولا مُحابٍ ولا منافق.

5 - المحبة؛ المنافية للبغض والكراهية، يحب الله تعالى ورسوله ﷺ ويحب أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، وحب الله تعالى ورسوله ﷺ من أهمّ وأجلّ الأعمال القلبية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» البخاري.

6 – الانقياد؛ ولا يكفي أن نعلم، بل لا بد من التطبيق، لا بد من الانقياد، العلم وحده لا يكفي، والعلم هو حجة علينا، لذلك لا بد من الالتزام، لذلك دائماً في القرآن الكريم ترى أمرين متلازمين: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ذكرت في القرآن (52) مرة، لأن الإيمان والانقياد أمرين متلازمين:

7 – القبول؛ وهذه نقطة مهمة جداً؛ لأننا نسمع كثيراً الآن البعض يُعْمِلُ عقله ويقول عن الأمر الديني: هذا منطقي وهذا غير منطقي! –والعياذ بالله– صار عند بعض الناس الجرأة، من قلة الدين والتقوى وعدم الخوف من الله تعالى على تحكيم العقل في أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ونصوص الله تعالى ورسوله ﷺ والعياذ بالله، وقد يسميهم البعض بالمدرسة العقلانية، ولكن هؤلاء –غفر الله تعالى لهم وردهم إلى دينهم الحق– لم يعلموا أن مهمة العقل هي فهم النصوص وفهم مُراد الشرع، وأن العقل لا يحق له وليس من مَهامه الحكم على النصوص، فإذا ثبت النص، أي أننا وثقنا بصحة النص، الآن العقل يبحث في فهم النص وتطبيقه، وممكنٌ أن نبحث عن صحة هذا النص بالعقل ، لكن بعد التثبت من صحته لا يحق لنا ولا لأي إنسان أن يرفض النص ولا أن يرده بأي حجة كانت؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 33/ 36].

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: فرائض الدين ونوافله وما يستطيع عليه الإنسان، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بنا أن جعل: 1 – الدين سهل، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 5/ 6]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 22/ 78]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 2/ 185].

2 - لم يكلفنا الله تعالى ما لا طاقة لنا به، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 2/ 286]، وقال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 2/ 233]، وقال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [الأعراف: 7/ 42 - الأنعام: 6/ 152 - المؤمنون: 23/ 62].

3 - الطاعة على قدر الاستطاعة؛ قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: 64/ 16].

فالحمد له على منّه وكرمه، والحمد لله على لطفه بنا، والحمد لله أن جعل جميع أمور الدين لصالحنا ولصالح حياتنا ومعاشنا، فالدين لسعادتنا وراحتنا وليس لتقييد حرياتنا، ولو أننا وجدنا لافتة تحذرنا من الخطر -كما نجد على الشواطئ لافتة: «لا تسبح فهنا سمك القرش»- فهل من عاقل يقول: بأن هذه اللافتة تقيد حرياتنا الشخصية؟!، أم أنه يقول إنها لإنقاذ حياتنا والحفاظ عليها؟ ونرى عند أعمدة الكهرباء أو في مناطق التوتر العالي لافتة تقول: (خطر الموت لا تقترب)، فهل هذه التعليمات لتقييد حرياتنا؟ أم أنها لإنقاذ حياتنا وحياة أهلنا وأطفالنا؟ كذلك الدين وتعليماته؛ لإنقاذ حياتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ لا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد من إحقاق الحق، لا بد من نصرة الحق حتى لا ينتصر الباطل ولا يسود، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 104].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه» ت - د - جه، لا بد من نصرة الحق، وهذا من باب الجهاد، جهاد اليد، وجهاد الكلمة، ويدخل في هذا الباب إحقاق الحق وتشجيع أهل الحق ونصرتهم ومدحهم والشكر لهم.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على الابتلاء والمحن، ومعنى الصبر: هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الاعتراض على حكم الله، وحبسه عن التشكي، وحبس الجوارح عن الحرام وعن ما لا يرضي الله تعالى من الأقوال والأفعال، كلطم الخدود، وشق الثياب، والسباب والاعتراض على حكم الله وابتلاءاته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 12/ 90]، وللصبر صفات وفوائد منها:

1 – صفة لأهل العزم، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 42/ 43].

2 – صفة لأولي العزم، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 46/ 35].

3 – الجزاء الأوفى من الله تعالى للصابرين: أ– سلام من الله تعالى، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 13/ 24]، ب– المعية الإلهية، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 8/ 46]، ج – الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 32/ 24].

4 – التحصن من كيد الأعداء بالصبر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران : 3/ 120].

5 – الفلاح في الدنيا والآخرة متعلق بالصبر والتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 200].

6 – محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 3/ 146].

7 - الفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: 23/ 111].

المهم أن يكون الصبر لله، وفي سبيل الله، وفيما يرضي الله عز وجل؛ فتصبر عن الحرام -عن فعل الحرام وقول الحرام-، تصبر على الطاعات كلها، تصبر على أذى الأقارب والأصحاب والناس، تصبر على خطئهم، وتصبر على أذاهم بكافة أشكاله، والتغافل عن الأخطاء والهفوات والزلات، في سبيل الله تعالى وفي مرضاة الله تعالى، تصبر على الأمراض والموت والفتن والامتحانات التي لا بد منها، وتنظر إلى الله تعالى وتتعلق به وترجو رضاه وتخاف عقابه، ترجو الفوز بالجنة وتخاف من نار جهنم وتتعوذ منها، فهذه البنود الأربعة بهذه السورة العظيمة جمعت أمور الدين كلها، فهي معجزة وبرهان بأن القرآن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأعود فأقول: بأن الإنسان أيًا كان أزهد ما يكون بعمره وبوقته الذي هو رأس ماله؛ فهو لا يدري كيف يقضيه، ولا يدري كيف يضيعه! وعمره ووقته هو أهم شيء في حياته، والمصيبة هي أن الإنسان يضيق بنفسه ولا يستطيع أن يكون مع حاله ونفسه، فتراه يمل ويضجر ويريد أحداً أو تلفازاً أو لعبة أو أي شيء يصرفه عن الخلو بنفسه، وهذا أمر عجيب ألا يتحمل الإنسان نفسه ولا يتحمل عمره ووقته، ويمكن أن يكون ذلك نتيجة أن الإنسان لا يعرف لماذا يعيش؟ وما هو الهدف من حياته؟ ولا يعرف مسؤوليته، نسي أو تناسى سبب وجوده، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: 45/ 34]، وكأنه يقول: إن سبب وجودكم في الدنيا هو أن تتذكروا أنكم مجموعون ليوم لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 3/ 9]، فنسيانكم هذا اليوم معناه: أنكم نسيتم سبب وجودكم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 67/ 2]، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ ننساكم من الرحمة، وننساكم من الفوز بالجنة والنجاة من النار، واستخدم سبحانه كلمة: (ننساكم) وحاشا له تعالى النسيان ولكن كأنه يقول: بأن

يقول: بأن الجزاء من جنس العمل، فكما أنك نسيت وتغافلت عن أوامر الله تعالى وشرع الله تعالى وطاعة الله تعالى، كذلك تُحْرَم الرحمة والجنة ورضوان الله، قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 32/ 14 – 17]، لذلك الآن نقرأ السورة بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 103/ 1 – 2]، نعم إن الإنسان في خسارة إن لم يعرف السبب من وجوده، ولم يعرف ما ينتظره، ولا يعرف كيف يقضي عمره ووقته الذي هو رأس ماله، والذي لا يعرف السر من وجوده ولا إلى أين هو ذاهب، فهذا الضائع وهذا الناسي وهذا الذي يضيق ذرعاً بوقته وعمره ولا يعرف كيف يقطع عمره ولا كيف يقضيه، تراه تافهاً في أعماله، تافهاً في أقواله، راكضاً وراء شهواته ومُتَعِهِ الدنيوية؛ لأنه فقد الاتصال بالله تعالى، فقد التصور عن القيامة وأحوالها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 45/ 24].

عَرَّف الإمام الحسن البصري الإنسان فقال: الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم، انقضى بعض منه، نعم؛ أنا أيام وساعات، كالراكب في قطار، كلما انقضت محطة كلما اقتربت إلى محطة نزولك، فكل يوم نتقدم إلى قبرنا وإلى المحطة التي لا بد أنَّا نازلون بها، لذلك ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 103/ 1 – 2] كل إنسان في خسارة من عمره كل يوم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 103/ 3] فهؤلاء ليسوا في خسارة لأنهم يربحون ويجنون الثواب العظيم الذي سوف يلقونه أمامهم بإذن ربهم وبرحمة ربهم ولطف ربهم، وقبوله لما قدموه؛ قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (لو لم ينزل إلى الناس إلا هذه السورة –سورة العصر– لكفتهم)، لأنها بينت أهمية الوقت وميزان الربح والخسارة.